الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الفنون الجميلة

تقانات الحفر(2)
الطباعة البارزة والطباعة العميقة
(الطباعة الخشبية والطباعة المعدنية)
Printmaking

الأستاذ الدكتور

عبد الكريم فرج

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لجامعة دمشق

منشورات جامعة دمشق 2008-2009

مقدمة تاريخية

بين الأحداث الهامة التي كانت مثاراً لاهتمام الفنانين والمهتمين بالفنون الجميلة في العالم كان فن الحفر والطباعة واحداً من هذه الأحداث التي شكلت مفصلاً تاريخياً ترك أثره الواضح في مجريات التطور في تاريخ الفن العالمي، وخصوصاً ما توصل إليه من شهرة وانتشار في فترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية وما بعدهما في أوربا.

من بين انجازات التطور التي تستحق الاعتبار في مجال الفنون البصرية هو ذلك التقدم الباهر الذي حظى به فن الحفر عندما خرج من الأُطر التقليدية الضيقة ودخل في طور التجارب الأكثر تعقيداً وصعوبة، واحتل دوره البارز في التعبير عن مشاكل عصره. صحيح أن فن الحفر وكل الفنون الغرافيكية في البداية لم تأخذ تميزاً بين الفنون الجميلة الأخرى وبقيت على هذه الحال زمناً طويلاً، ولكن الواقع الحقيقي يختلف عن ذلك، فلقد أثبت التقصي والتحليل لأقدم الرسوم التي تركها الإنسان القديم في المغاور والكهوف أنها تحمل معاني الحس (الغرافيكي) الأصيل حيث يمكننا أن نجد الآثار الخطية محفورة على الصخور والجدران وهي تمثل أول أعمال فن الغرافيك وأقدمها.

أما آثار الطباعة للرسم المحفور فقد وجدت من خلال الأختام السومرية الاسطوانية المصنوعة من الطين المشوي والتي كانت تمهر بها الوثائق أو تستعمل للتعريف بالأشخاص أو المناطق وما شابه ذلك، أي أن الأعمال الغرافيكية كانت بعيدة في البداية عن عملية الطباعة والاستنساخ والحصول منها على أعمال متعددة متشابهة، لأن هذا في النهاية هدف العمل الفني المحفور والمطبوع، وهذا الهدف أي (الطباعة المتكررة) من العمل الغرافيكي الواحد أصبحت ممكنة فقط عند اختراع الورق وانتشار صناعته في العالم والذي عرف في أوروبا حوالي النصف الأول من القرن الخامس عشر ومن تلك اللحظة فعلاً يمكن أن نؤرخ تأريخاً حقيقياً لولادة وتطور فن الغرافيك بكافة أشكاله في أوروبا.

وإذا ما أردنا التعمق قليلاً في التاريخ، وجدنا أن فن الحفر على الخشب (الحفر البارز) كان معروفاً قبل بداية القرون الوسطى في الصين وفي كوريا وقد وجدت أعمال كثيرة في الصين وفي كوريا، غير أن أقدم لوحة مؤرخة وجدت في الصين عام 868/م Tun-Huan توضيحاً لقصة بوذية، وبسبب الرحالة العرب انتقل فن الرسم المحفور على الخشب إلى أوربا في القرون الوسطى، وأول لوحة حفر على الخشب مطبوعة عرفت هي لوحة القديس كريستوف في النمسا عام 1423م وبعدها أصبح فن الحفر على الخشب موظفاً للرسوم التوضيحية في الكتب مرافقاً للنصوص وبقي كذلك حتى نهاية القرن الخامس عشر حيث أخذ هذا الفن صفته المستقلة في أوربا بين جميع فروع الفنون البصرية ويعود الفضل في ذلك لأعمال الفنان العبقري (البرخت ديورر 1471-1528 Dürer) وغيره مثل (هولبين 1497-1543 H-Holbien) و(كراناخ الأصغر Lucas Cranach 1516-1586-) الذي ابتكر أعمالاً فنية في الحفر على الخشب بطريقة (المظلم المنير La Clair obscur) والتي تعني انطباع عدة (كليشات) من الخشب لإخراج موضوع واحد متدرج من النور إلى الظل...) وقد أعقب تلك المرحلة أن دخل إلى عالم (الغرافيك) فن الحفر العميق على المعادن والذي سيطر سيطرة تامة حتى الربع الأخير من القرن الثامن عشر إلى أن جاء الفنان (توماس بويك 1753-1828 T.Bewik) عام 1775م وأدخل نوعاً جديداً من الحفر على الخشب وهو الحفر على صفائح الخشب المقطوعة عرضياً من جذوع الأشجار ونال شهرة كبيرة بسبب استعمال هذا النوع من الحفر الدقيق، وقد استخدمه لتقليد أعمال الفنانين ونسخها من جديد وبعدها انتشر استعمال هذه الحرفة الفنية بشكل واسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث كثرت الحاجة لاستصدار المجلات وطباعة الكتب المختلفة إضافة إلى نسخ أعمال التصوير الزيتي لمشاهير الفنانين.

وبالعودة إلى الحفر على سطوح المعادن نجد أن بدايته ترتبط بالصنعة الفنية المسماة (النيللو Nillo) والتي مارسها الصياغ الإيطاليون في النصف الأول من القرن الخامس

عشر أثناء تصنيع قطع الزينة المصنوعة من الذهب أو الفضة وتزيين الأسلحة وتعتمد هذه الطريقة على حفر الرسم على الصفيحة المعدنية ثم تعبأ الخطوط المحفورة بمعجون أسود أو أزرق عاتم ومن هذه الطريقة توصّل الصائغ الإيطالي (توماس فينيغورا FiniGuerra) في منتصف القرن الخامس عشر إلى صياغة لوحة محفورة تطبع بطريقة الحفر البارز، ثم أعقب ذلك استعمال طريقة الحفر على المعادن بالطرق (أي تخشين سطح المعدن باستعمال المطارق) ولم تدم هذه الطريقة طويلاً ومن أقدم من حفر على المعدن كذلك بالحفر العميق جماعة من الفنانين الهولنديين والفرنسيين والألمان الذين أُطلق عليهم اسم (مونوغرام) Monogram والذين طبعوا على أعمالهم رموزاً لأسمائهم بحروف مختصرة، وبعد ذلك يعرف تاريخ الحفر العميق على المعادن تقدماً وتطوراً كبيراً عندما ازدهر الحفر بالمنقاش (Burin) على صفائح النحاس بدءاً من نهاية القرن الخامس عشر وفي القرن السادس عشر وقد برع بهذه التقنية أسماء مشهورين، مثل: (مارتين سونغاورا Martin Schonguera 1491-1425) و (أندريا مانتينا Andrea Mantegna 1556-1431) كذلك الفنان المبدع (البرخت ديورر 1471-1528) والذي توصّل بأعماله الدقيقة إلى ليونة في تكوين السطوح تشبه كثيراً تأثيرات التصوير الزيتي وخصوصاً في تمثيل تدرجات الظل والنور متأثراً بالأسلوب القوطي في المدرسة الألمانية. ولقد زادت أهمية تقنية المنقاش لنسخ أعمال مشاهير الفنانين، ففي العام 1510م شاع انتشار الحفر بالمنقاش لنقل أعمال الفنان (رافائيل Raphael 1520-1483) والتي نفذها الحفار (رايموند Antonio Raimondi 1527-1440)، وفي عصر النهضة ظهرت تقنية تسمى الحفر التنقيطي بالمنقاش: (رأس مدبب يحفر سطح النحاس على شكل نقاط عميقة تسمح في تشكيل مساحات ذات قيم لونية متدرجة) ومن أهم من عمل بهذه الطريقة: (جوليو كامباغنولي Giulio Campagnoli 1563-1884) وقد عرفت هذه الطريقة في انكلترا في القرن الثامن عشر في أعمال الفنان الانكليزي

(ريلاند V. Ryland 1732-1783) والايطالي بارتولوزي Fracesco Bartolozzi 1727-1814 .

واشتهر على الأرض البولونية بالحفر على المنقاش بالطريقة التقليدية: (فيتا ستفوش Veita Stwosz 1447-1533) وفنانون أجانب على الأرض البولونية مثل (جارنكو Jan Jarnco 1575-1630) ، (وليم هندويوس Wilela Hondius 1625-1597)، والفنان (فالك Falck-Pafnus 1610-1677)، والتطور الجدير بالذكر في تقنية الحفر بالمنقاش أنه وصل في نهاية عصر النهضة إلى قمة مجده وفي عصر الباروك في القرن السابع عشر والثامن عشر انتقلت تقنية المنقاش إلى استعمال صفائح الفولاذ لرخص ثمنها وقساوتها وإمكانية عطائها لعدد أكبر من الطبعات كما أن صفائح الفولاذ تتمتع بمقدرة كبيرة على تقديم درجات الرمادي المتقاربة وصولاً إلى الأسود، ولهذا السبب جرى استخدامها لاستخراج أوراق العملة والصكوك والطوابع البريدية.

وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر والثامن عشر يظهر للوجود إلى جانب المنقاش تقنية الحفر بالماء القوي (الحفر بالحموض) Eau Fortis على صفائح المعدن، وفي حوالي العام 1496م طبع (فاتسواف) من أومنيتسا (Waclaw) أول لوحة حفر بهذه الطريقة على صفيحة من الحديد ولقد استعمل الفنان البارع ديورر Dürer 1471-1528 هذه الطريقة مستخدماً صفائح الفولاذ في العام 1515-1518 وكذلك الفنان الفرنسي (جاك كالوت Jacgues Gallot 1592-1635) الذي استعمل إبرة مقطوعة الرأس في كشط الشمع عن سطح المعدن وغطسه بالحمض، ويشهد التاريخ أن أبرع من استخدم طريقة الحفر بالماء القوي الفنان الهولندي رمبراندت Rambrandt 1606-1669 الذي ترك أعمالاً مشهورة في الموضوعات الدينية والمناظر الطبيعية والصور الشخصية.

وفي القرن الثامن عشر برز في تقنية الحفر بالماء القوي كذلك الفنان: بيرانيزي غومباتيستا 1720-1778 Gombattista الذي اهتم برسم الآثار الرومانية، ثم الفنان الاسباني (غويا 1746-1828 Goya) في مجموعاته (النزوات . ويلات الحروب . المفارقات ثم مجموعة الأمثال) والتي تميزت جميعها بصياغة تعبيرية شديدة التأثير. وإلى جانب الحفر بالماء القوي Etching ازدهرت طريقة صبغة الماء في الحفر العميق على المعدن Aquatint وذلك في القرن الثامن عشر والتي تعطى نتائجاً تشبه الألوان المائية وقد بدأها (جان دي فلادي) Jan de Vladi وبرع فيها في القرن الثامن عشر الفنانون الفلامنكيون والفرنسيون والانكليز وتم مزج هذه الطريقة مع الحفر بالماء القوي Etching في أعمال الفنان غويا لخلق خصائص تعبيرية جديدة، وفي عام 1642م اكتشف الفنان لودفيغ فونشيغن 1609-1680 Ludwikh von siegen الطريقة السوداء Mezzotint وشاع استعمالها في نهاية القرن الثامن عشر خصوصاً في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وقد استعملت لنسخ أعمال التصوير الزيتي بدقة وصلت إلى حد الفوتوغراف.

ومن تقنية الحفر بالماء القوي تفرعت طريقة الحفر بالشمع الطري Soft ground وقد استعملها للمرة الأولى الفنان الألماني ديتريخ مير Detrich Meyer حوالي العام 1600م واستعملها في القرن التاسع عشر بكثرة الفنانون الانكليز، وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر تشعبت الأبحاث لاكتشاف تقنيات الحفر على المعدن بطرائق جديدة مثل (طريقة العجلات المسننة) وطريقة مزج كل التقنيات لاكتشاف تأثيرات غير معروفة من قبل (تعبيرية وجمالية) في الرسم المطبوع.

وفي معرض البحث عن تطور وتنوع تقانات فن الحفر والطباعة لا يمكننا أن نغفل (الطباعة الحجرية = الليتوغرافي) اكتشفها في العام 1798م الفنان البافاري الألماني ألوزي سنفلدر 1771-1834 Aloze Senfelden وقد اكتسبت هذه التقنية أهميتها من خلال إمكاناتها بإعطاء تأثيرات تصويرية وإعطائها إعدادا كبيرة من النسخ المطبوعة، وقد

استخدمت بشكل ناجح لإنتاج الإعلانات الفنية ووسائل الدعاية، وقد اشتهرت في هذه الطريقة أعمال الفنان دومييه Honore Daumier 1808-1879 وديلاكروا Delacroix 1798-1863 وتولوز لوتريك Toulouse Lautrec 1864-1901 واشتهر في هذه التقنية في بولونيا: (يان شيستشينسكي Jan szesczinski) في العام 1818م و(يان فلكس بيفارسكي Jan Feleks Pivarski 1795-1859) وتظهر بوادر اكتشافات في الحفر على المعدن بخصائص جديدة من خلال طريقة الحفر النافر (Relief) على يد الفنان وليم بليك William Placke 1757-1827 والتي مارسها كذلك بيكاسو وفنانون عديدون أوربيون.

استفاد فن الحفر والطباعة في القرن العشرين كذلك من تطورات وازدهار التصوير الضوئي والشاشة الحريرية واستخدام الحفر على الكليشات الزجاجية والحفر بالطريقة الكهربائية Electrotint والوسائل التقنية المعاصرة والمتطورة.

وخلاصة القول:

التفاتة هامة يجب التركيز عليها لأهميتها، وتتلخص في القيمة التي منحتها فنون الشرق في مجال الحفر والطباعة للفنون الأوربية التي ازدهرت في القرن التاسع عشر والعشرين على وجه الخصوص، فلقد كان الفن الصيني منبع الخبرات الفنية والتقنية في الحفر على الخشب Wood Cut في عصر (ت إنغ T.Ang 906-615) والذي انتقلت خبراته بحكم التجاور والاحتكاك الثقافي إلى كوريا واليابان، وفي اليابان تطور تطوراً ملحوظاً في عصر EDO (طوكيو اليوم) حيث ترسخت تقاليد الطباعة اليابانية الـ (اوكيو . ي eKiyo-e 1868-1603) وخصوصاً الطباعة الملونة. ومن هذه التقاليد تعلم الفنانون الأوربيون الشيء الكثير لإطلاق مدارس الفن الحديث في بلدانهم.

فهرس الفصل الأول

1- الأختام كمقدمة لفن الحفر والطباعة.

2- تعريف بفن الحفر والطباعة.

الفصل الأول

أولاً ـ الأختام كمقدمة لفن الحفر والطباعة

قبل الكتابة عن فن الحفر جدير بنا أن نتعرف على مقدماته التاريخية الموغلة في القدم وأهم هذه المقدمات كانت الأختام.

والختم بالتعريف: شكل مبتكر منقوش على سطوح صلبة تتضمن علامات ورموز أو أشكال أو حروف، أو كتابات تدل على معلومات، أو تسجيل أحداثاً تاريخيةٍ أو أسطوريةٍ تتعلق بالآلهة والحكام أو بالأشخاص.

ولقد كان سكان العراق القدامى أول من استعمل الأختام بين (6000-1000)[1] قبل الميلاد ثم انتقلت إلى بلدان الشرق الأدنى القديم ثم إلى سوريا ثم وصلت إلى مصر واليونان وتعد أختام (ماري) في سوريا والتي تعود إلى عهد (زميريليم) وزوجته (شيبتو) من أروع الأمثلة على الأختام المنقوشة في الألف الثالث قبل الميلاد[2].

ظهرت الأختام المنبسطة في العراق ثم تطور شكلها واستعمالها فيما بعد، حتى أخذت الشكل الأسطواني الذي استخدم لمهر الرقم المسمارية المصنوعة من الطين أثناء المراسلات منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد وامتد حتى بعد الميلاد، ويتألف الختم الأسطواني من قطعة اسطوانية بطول يتراوح بين (5-7) سم وقطره يساوي نصف طوله تقريباً، تحفر على سطحه الخارجي أشكال ورموز تترك آثارها فوق مادة طرية.

يصنع الختم من مواد قاسية مثل الحجر الكلسي أو الكريستال الصخري أو الكوارتز والجزع، أو أنواع أخرى من الأحجار المتوسطة القساوة أو اللينة أحياناً، وقد انتشر انتشاراً

---

[1] – الدكتور انور صبحي رشيد (تاريخ الفن في العراق القديم).

[2] – دومينيك بير . من أهم رؤساء بعثات التنقيب في سوريا (استاذ تاريخ الفن والآثار في جامعة ستراسبورغ).

سريعاً في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد بسبب التطور الحضاري (الإقتصادي والإجتماعي) وقد عاد استخدام الأختام المنبسطة في القرن السابع قبل الميلاد وأصبحت أكثر شيوعاً حتى حلت محل الأختام الإسطوانية واستمر استعمال الختم المنبسط في العصور الإسلامية.

ختم اسطواني من سورية القديمة الألف الثالث ق.م ومابعد

الاختام الإسلامية:

عرف أول ختم في الإسلام للرسول محمد (ص) وقد صنع من الفضة وكتب عليه (محمد رسول الله) في ثلاثة أسطر تقرأ من أسفل إلى أعلى وانتقل هذا الختم من بعده إلى الخلفاء الراشدين، وقد وجد في المتحف العراقي ثلاثة أختام واحد من الحجر الأسود كتب عليه بالخط الكوفي (الله ثقة محمد وبه يؤمن)، وختم من الحجر الأسود أيضاً وكتب عليه بالخط الكوفي (حسبي الله)، وختم من العقيق الأحمر بيضوي الشكل وكتب عليه كذلك بالخط الكوفي (لا إله إلا الله).

استعملت الأختام في العصر الإسلامي لأغراض رسمية لشؤون جباية الأموال وقد استعمل الأختام عدد من الأشخاص لشؤونهم الخاصة، كما استعملوها للمكاييل والواني والقوارير الطبية وفي غالبيتها كانت مكتوبة بالخط الكوفي لسهولة حفره وإمكانية قراءته بوضوح.

نقشت الأختام الإسلامية على معادن متنوعة كالحديد والفضة والنحاس أو الأحجار الإعتيادية أو العقيق والجزع اليماني والياقوت والشذر وذكر أن بعض الأختام كان مصنوعاً من الورق أو الخشب، وقد حملت الأختام الإسلامية نقوشاً مختلفة استخدمت فيها رسوم الأزهار وأوراق النباتات ونقشت عليها في بعض الأحيان رموزاً تدل على الكواكب والأهلّة، وأشكال متعددة من الحبال المظفورة بعناصر نباتية أو رموز تدل على الطبيعة والأشكال المختلفة.

الأختام الإسلامية

الاختام الاسلامية

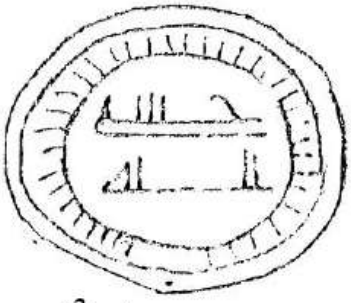

"حسبي الله"

ختم من الحجر الأسود كتب عليه بالخط الكوفي البسيط "حسبي الله"[3] وقد احيطت الكتابة بخطين متوازيين وصلت بينهما خطوط أفقية صغيرة.

القياس 13×11 ملم

المعثر: مصادر

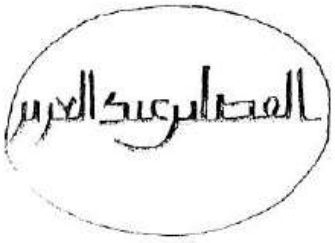

"الفضل بن عبد العزيز"

ختم من حجر الكريستال (درنجف)[4] كتب عليه بالخط الكوفي البسيط "الفضل بن عبد العزيز"، اختفت استدارة اللام في كلمة الفضل.

القياس 13×11 ملم

المعثر: مصادر

---

[3] – نقشت هذه العبارة على ختم الخليفة العباسي المهدي (محمد بن المنصور) 158-169هـ. حكمت شريف . أختام الخلفاء . المقتطف 1903– ص 138.

[4] – ابن الاكفاني . نخب الدخائر في أحوال الجواهر . القاهرة 1939 ص 65.

حسنة ابنت الحسن

تعش سعيدة

وتموت شهيدة

ختم من الحجر الأخضر الغامق بيضوي الشكل كتب عليه بالخط الكوفي البسيط "حسنة ابنت الحسن تعش سعيدة وتموت
شهيدة" وقد دمجت الالف في ابنتمع بقية حروف الكلمة.

القياس 19×16 ملم

المعثر: اهداء

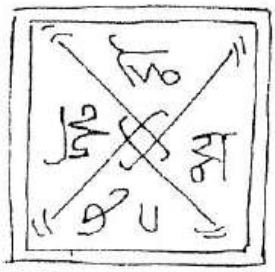

"محمد"

فص من العقيق مربع الشكل كتب عليه بخط الثلث كلمة "محمد" مكررة أربع مرات وفي الزوايا الأربعة للختم كتبت حروف غير واضحة وأحيطت بنطاق من خطين

القياس 17×16 ملم

المعثر: مشتري

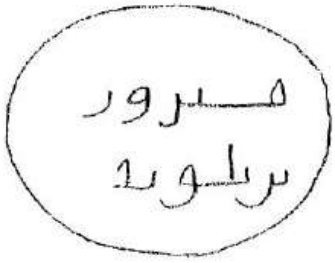

فيروز

بن بلوية أو (نبوية)

ختم من الحجر الاسود بيضوي الشكل كتب عليه بخط دارج "فيروز بن بلوية أو نبوية".

القياس 10×9 ملم

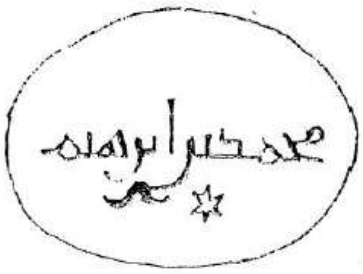

"محمد بن ابراهيم"

ختم من حجر أخضر اللون بيضوي الشكل عليه كتابة بالخط الكوفي "محمد بن ابراهيم" رسمت بداية الالف برأسين مدببين واتصلت مدَّة النون بزهرة متجهة إلى الأسفل، وفي أسفل الكتابة كوكبة سداسية.

القياس 12×8 ملم

المعثر مصادر

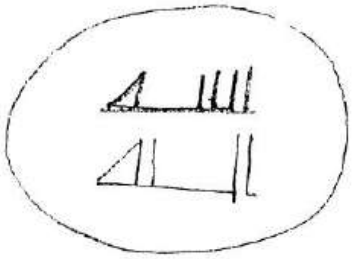

"بسم الله"

ختم من الحجر الأسود كتب عليه بالخط الكوفي البسيط "بسم الله"

القياس 11×9 ملم

المعثر إهداء

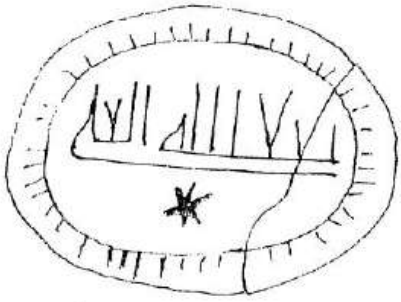

"بعلا الله العلي"

ختم من الحجر الأسود بيضوي الشكل مكسور إلى قطعتين كتب بالخط الكوفي البسيط "بعلا الله العلي" والختم محاط بخط رفيع تتصل به خطوط صغيرة تشكل نطاقاً للكتابة وفي أسفل الكتابة نقشت كوكبة ذات رؤوس.

القياس 14×11 ملم

المعثر مصادر

بالله

جعفر بن أحمد

يثق

ختم من حجر بني اللون كتب عليه بالخط الكوفي ذي النهايات العلوية المزخرفة "جعفر بن أحمد يثق الله" وانحدرت مّة حرف النون عن مستوى الكتابة واتصلت بنصف مروحة نخلية.

القياس 12×8 ملم

المعثر مشتري

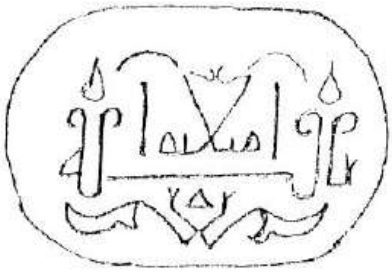

آمنا بالله

ختم من العقيق بيضوي الشكل كتب بالخط الكوفي المورق " آمنا بالله" وقد تكررت كلمة آمنا مرتين وبصورة متقابلة وتقاطعت الألف الأخيرة للكلمتين. مجمل حروف الكتابة في هذا الختم محلاة باستدارات وزخارف جميلة وفوق حروف الكتابة رسمت اشكال زخرفية تمثل كمثرى وأهلة رأسيها إلى الأسفل وتحت الكتابة نصفاً مروحة نخلية متناظران ومتطوران. خرجت من نهايتها أغصان هندسية الشكل يتوسطها عنصر زخرفي هندسي (مثلث).

القياس 14×10 ملم

المعثر مشروع حوض ديالى

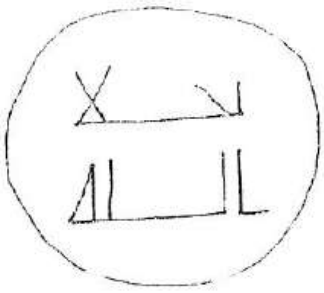

"تجلا الله"

ختم من الحجر الأسود كتب بالخط الكوفي البسيط "تجلا الله".

القياس 11×9 ملم

المعثر مصادر

يا امام حسين

ختم من العقيق الأحمر مربع الشكل كتب عليه بالخط الفارسي "يا امام حسين" تخللتها شبكة من الاغصان زينت ببعض النقاط التي تمثل وريقات وأزهار مماثلة لما انتشر في زخارف العصر الصفوي خاصة على المسكوكات.

القياس 13×11 ملم

المعثر مصادر

الواثق بربه ذو المنن

اسكندر بن حسن

1099

ختم من الكريستال (حجر در نجف) منشوري الشكل كتب عليه بالخط الفارسي "الواثق بربهذو المنن اسكندر بن حسن" وقد أرخت الكتابة سنة 1099 وتخللت الكتابة بعض الاغصان التي تمثل أزهاراً

القياس 21×13 ملم

أنت تأتمن بعز

ختم من حجر الجزع السليماني كتب عليه بالخط الكوفي "أنت تأتمن بعز".

القياس 15×13 ملم

المعثر مشتري

"المكتفي بالله"

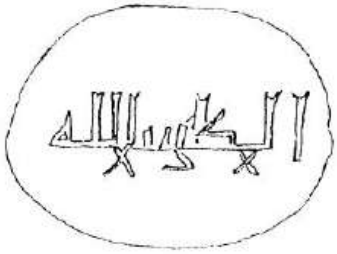

ختم من العقيق الأحمر كتب عليه بالخط الكوفي "المكتفي بالله" ورسمت حروف الكتابة بشكل متداخل امتدت نهاياتها عند التقاطع.

القياس 12×9 ملم

المعثر مصادر

العدل

ابراهيم بن

المحمد بنجي

ختم من الفضة كتب بقلم الثلث "العدل ابراهيم بن المحمد بنجي".

القياس 17×13 ملم

نماذج حروف الكتابات التي ظهرت على الاختام

الإسلامية

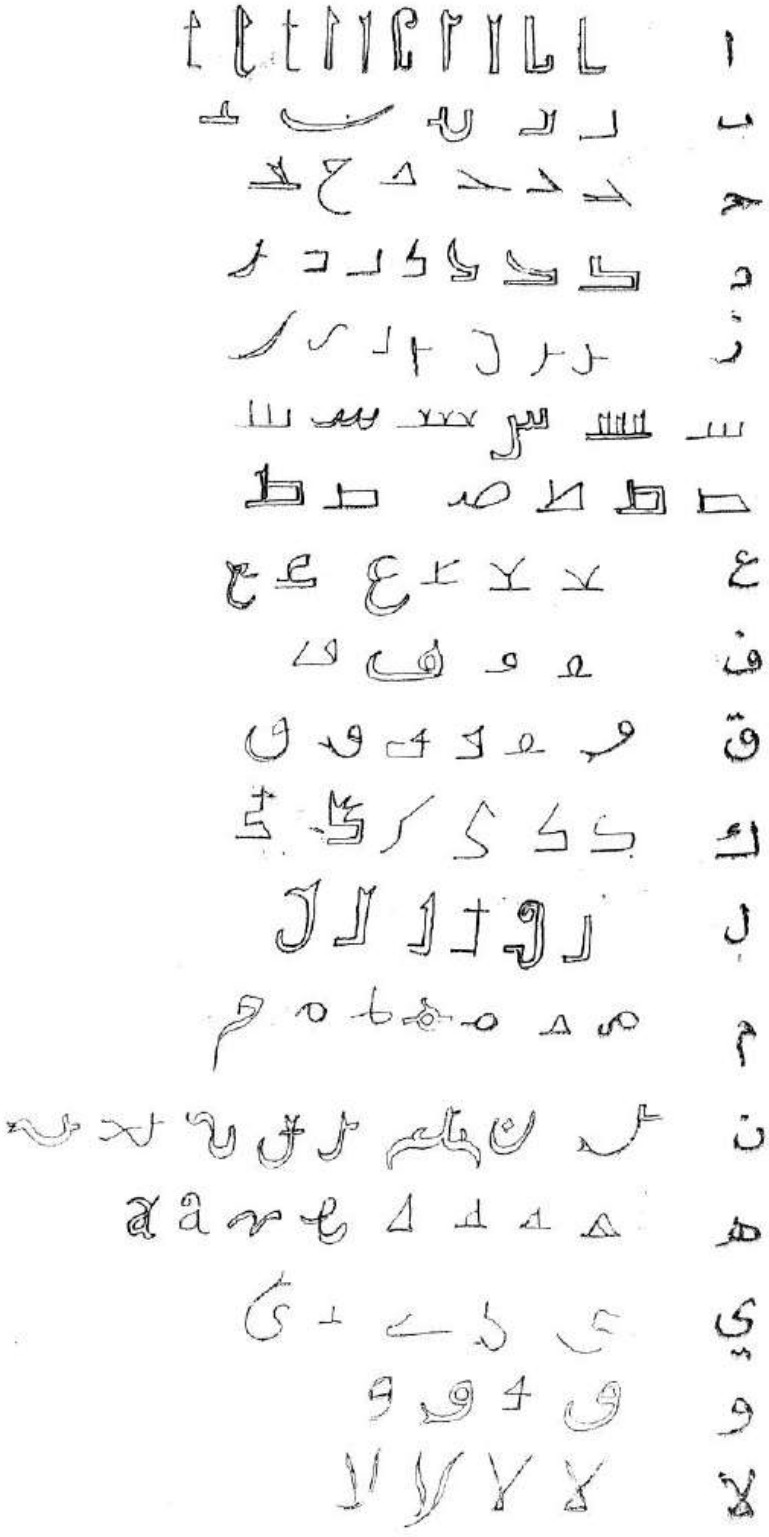

نماذج الزخارف التي ظهرت على الأختام

الإسلامية